

الفصل الأول

مدون التاريخ ودراسته قديما وحديثا

جرى مدونو التاريخ الى الآن على عرض صورة الاحداث السياسية التي كان لها أثر واضح على وجه من وجوه التاريخ . أما أن المؤرخين القدماء كانوا يقصرون بحثهم على عرض الاحداث في صورة عامة فأية ذلك أنهم كانوا جميعا يتفقون على ذكر الاحداث وأن كانوا يختلفون بعد ذلك في التفاصيل كأن تضارب رواياتهم في تحديد تاريخ حادثة معينة أو في تفصيل حدث فيقدم أحدهم بعض الحوادث ويؤخره غيره من الكتابين والكتبهم بالرغم من هذا التباين والاختلاف على بعض الجزئيات كانوا - على الاغلب - متفقين على المبادئ الأساسية التي يسرون على هداها في كتاباتهم وكان من أثر هذا أن هيكل الكتابة التاريخية في موضوع واحد لاكثر من كاتب واحد هو ولم يتغير وإن كانت السمات الظاهرة والاشكال الخارجية قد تغيرت في كثير من كتابات المؤرخين وقد اختلفوا في رواية الدقائق التي بنيت عليها قصبة أحسن الاول ملك الصعید حين طرد الهكسوس أو الرعاية من مصر كذلك وجدت بينهم خلافات في صدد تاريخ مصر القريب والبعيد

وكما ظهرت آثار جديدة أو أسانيد لم يتعرفوا عليها من قبل ، اختلفت رواياتهم . ولسنا نقول بهذه أن المؤرخين القدماء هم وحدهم الذين يختلفون في الدقائق التاريخية ولكننا نذهب الى أن هذا الاختلاف القديم لم يكن يتجاوز الشكل الخارجى لسرد الاحداث الهامة التي يتعرضون لها في كتابة التاريخ . أما أساس الروايات كما فيكاد يشابه تشابهها لا يحتمل الموازنة

والترجيح . فإذا انتهينا الى هذا فان من السهل علينا أن ندرك أن هذا الخلاف لم يكن بذي بال وهو لم يتعد النوافل القليلة الالهية وقد كان من آثار الروايات المتشابهة أن فقد التاريخ الكثير من بهره وفتونه ، إذ فقدت الحوادث التي يبسطها حياتها وقوتها اللتين كانتا لها في العهود التي وقعت فيها فلم تزد هذه الاحداث على أن تكون روايات جامدة مملّة

وكان أيضا من آثار هذا التشابه في الرواية أن أصبحت كتب التاريخ وما تحويه من قصصه وتواتر الاحياة فيه ففي عصر النهضة الاوربية أو عصر الاحياء كما يسميه بعض الكتّاب ، حين تقرأ عشرات الكتب التي وضعت في ظل هذه المدرسة القديمة من المؤرخين يروى لنا أن نجد مثل هذا التشابه المضجر الممل وحين تدرس المسألة الشرقية في الكتب القديمة سرعان ما تدرك أن هذه الكتب تسكاد تتفق في رواياتها حتى لتحسب أن بعضها تقل عن البعض الآخر وليس هذا التشابه الممجوج بمقصود على موضوعات معينة هي وحدها التي اختصت به ولكنه ظاهري في الاغلبية الكبيرة من الموضوعات التي تناولها المؤرخون الاقدمون . وقبل أن يكشف عن بعض الآثار المصرية القديمة مؤخراً كان تاريخ مصر الفرعونية من الجود بحيث لا يستطيع الانسان أن يوالى القراءة عنه كثيراً مع أن هذا التاريخ يعينه زاخر بشتى الموضوعات ، ملئ بالوان من الاحداث التي يسعد المطالع والدارس بقراءتها واستعادتها عشرات المرات . وإذا كان من السهل الاعتذار عن التشابه والتواتر الذي تسكلم عنه حين كان المؤرخ يعالج تاريخ عصر من العصور التي توغل في القدم حين يتعذر وجود الاسناد والأداة

على تفصيل مايجعل ، فان هذا الاعتذار بعينه يسقط لئله اذا كان السكاتب المؤرخ أمام عمده لم يبعد عنا بالقدر الذى يفصلنا للاقترنا به ، أو يجعله بالنسبة لنا خرافة أو اسطورة . وعسير على الباحث أن يستقرى مصادرنا وأصولنا ودرجات تطورها . من أجل كل هذا انصرف الناس عن التاريخ لازهادة فيه ، فان دراسة التاريخ من الدراسات التى كانت وما تزال حبيبة إلى النفس الانسانية لغرامها القديم بالقصة ، ولكن تموعا من طرائق البحث فيه وهروبا من تواتره الاضم . وسبب آخر لهذا الانصراف هو سوء فهم المؤرخين من أصحاب ذياك المذهب القديم للتاريخ وجمالهم بما ينبغى أن يوضع من الموضوعات خلال كتابته ، أو قل إنه سوء اختيارهم للنواحي التاريخية التى يكتبون عنها اذا ما تعرضوا لعهد من العهود فى حياة أمة من الامم ، فقد كان التاريخ فى نظرهم هو رواية أهم الاحداث السياسية دون وجوه الحياة ومراتب تطورها من كل مناحيها كتطور الحياة الاجتماعية وماله من مساس بالحياة السياسية لشعب من الشعوب والناحية الاقتصادية وثيقة الارتباط بالناحية السياسية التى اختاروها لكي يؤرخوا عنها بل قلما يستطيع الانسان أن يذكر من التاريخ الذى وضعه أصحاب هذه المدرسة القديمة ما يتصل بشؤون العمران على صلتها بالحياة السياسية إلا أن يكون ذلك مرورا عارضا لا تفصيلا وتعرضا ودرسا .

المدرستان التاريخيتان الجديدتان

على انقراض هذه المدرسة القديمة من أصحاب التاريخ قامت مدرستان جديدتان لكل منهما اتجاه خاص فى كتابته انفرادية به وتميزت بآثاره وسميات

فأما أصحاب المذهب الاول فعندهم أن التاريخ لا يجب أن يقتصر على الأحداث السياسية وحدها ، فهذه ليست إلا ناحية واحدة من نواحي الحياة ولكن التاريخ هو حكاية المجتمع من كل وجوهه ونواحيه . فإذا كان التاريخ الاجتماعي يبحث في أمور المجتمعات السابقة والتاريخ الطبيعي يبحث في نواحي الوجود المتباينة فينبغي للاول أن يحيط بالمجتمع ومن كافة نواحيه ، والسبيل الى هذا الا يقتصر المؤرخون في تفصيلهم عن منشأ الظواهر السياسية بل يجب أن يعنوا ، الى جانب هذا اللون من ألوان الاجتماع ، بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية عناية لا تقل عن عنايتهم بالأولى . وهم بعد ذلك لا يقفون عندها الحد وحده ، بل إنهم يرون لزاما على المؤرخ حسب الأمين على فنه ألا يكتفى بمبحث منشأ هذه الظواهر وجب بل يبحث الى جانب منشأها ، عن درجات تطورها ومراحل انتقالها ، ويتابعها بالتقصي عن أصولها جميعا . ولقد اختلط هذا المذهب الجديد على بعض الناس اختلاطا جعلهم لا يفرقون بين التاريخ في مطلبه الجديد ، وتقصده هنا التاريخ الاجتماعي ، وبين التاريخ الطبيعي . وكان مرد هذا الخلط بين نوعي التاريخ المتعيزين كل منهما عن الآخر أن نادى أصحاب هذا المذهب الذي نتحدث عنه بوجوب تقصي تاريخ المنشآت الاجتماعية . كما نادوا بتقصي تاريخ الأحداث الاجتماعية سواء منها ذات اللون السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي البحت ، أي أنهم نادوا بضرورة تقصي تاريخ العمران تفصيلا يترك مجالاً للأهمال أو قلة التقدير . وعلى هذا فالأشياء التي يحتمل أن يكون لها تأثير من أي نوع على وجه من وجوه التاريخ ، جديرة في

نظرهم بالبحث والدرس والتقصي ، مهما كانت قيمتها ضئيلة لا يقيم لها وزن بل لقد جاهر بعض أنصار هذه النظرية بأن التاريخ الحقيقي هو الذي تفصل به الاشياء تفصيلا وهو أبلغ في الدلالة وأقدر على تصوير روح العصر الذي يكتب عنه المؤرخ من كل الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعتمد عليها المؤرخون حين يكتبون عن عهد من العهود .

ثم إن بعض أشياع هذه الفكرة الجديدة من كتاب التاريخ يؤمنون أن التاريخ الحقيقي هو تاريخ العمران الحسى قبل أن يكون تاريخ الظواهر الأخرى ، ومعظمها معنوى . ولقد سبق الى توضيح هذه الفكرة الكاتب الاجتماعي الكبير ه . ج . ولز فكان أول منشئ لهذه النظرية التاريخية الجديدة . على أن ولز في الحقيقة ، حين ما كتب المرة الأولى ، لم يبسط نظريته على النحو الذي ذكرنا ، ولكنه قال انه يمكن استخلاص تاريخ الانسانية في تطوراتها ، أو تاريخ أمة من الامم من تتبع العمران فيها والبحث في أساليب العمارة . ذلك أن عنده أن فن البناء ، هو دليل مادي على الذوق العام الذي يسود عصرًا من العصور ، وهو بعد ذلك معيار لليسر والرخاء ، وبرهان على منطقية الشعوب وحياتها العقلية . حتى لقد ضرب مثلا لذلك ما يراه زائر باريس مثلا إذا تأملوا في نظام البناء الذي يقدمه الباريسيون على غيره ، فقد يلاحظون أن الفرنسي لا يبدأ بانه إلا إذا جعل من البناء قضية منطقية واضحة . وقد يبدو هذا الحديث معقدا إذا قرأه الانسان للمرة الأولى ولكنه لا يلبث أن يدرك ما يرمى اليه ولز من وراء حديثه ، فلقد ضرب مثلا لذلك فقال انه إذا بنى الفرنسي بيتا فجعل له جناحا في جانب من جانبيه ، فهو لا يبدأ الا إذا بنى جناحا مقابلا

للاول في الجانب الثاني للبناء ، ومن ذلك يستطيع الانسان أن يدرك مقدار حب الفرنسيين للمنطق وتقديمهم له على كل ما عداه من الاعتبارات

ثم هو يقول بعد ذلك أن منطقية الشعب الفرنسي تبدو كذلك في تخطيط البلدان فهم يميلون الى الخطوط المستقيمة والمتوازية والى تطبيق النظريات الهندسية المجردة والفروض العلمية التي تبدهم منطقيتها على كل ما يتصل بحياتهم من الشؤون

ويبدو هذا الميل واضحا في نظام البناء عندهم وفي تخطيط البلدان أى أن آثار هذه المنطقية إنما تتضح في الاشياء الحسية قبل أن تتضح في الظواهر المعنوية التي يعسر على الذهن العادى الوصول اليها سريعا . بل إنه يقول إن هذه المظاهر الحسية أبلغ في دلالتها على روح العصر من أى شئ آخر تلك هى الفكرة التي بسطها ويلز وعلى أساسها توسع أشياعها في توسيع نظريتهم ؛ فهم يقولون إن كل عصر يمتاز بروح خاص فكل أمة لها سمات معينة تشير اليها وهذه السمات تختلف باختلاف روح العصور التي تسير فيها بل إن كل بلد من البلدان يمتاز بروح خاصة كما يقول بذلك أكثر من كاتب واحد من كتاب الاجتماع ، فتتبع المراحل التي تسير فيها الأمم لن يكون واضحا أمام الباحث إلا إذا طلبه عند فن العمارة . فإذا أردت أن تدرك روح عصر من العصور التي سارت فيها أمة من الأمم فعليك أن تتبع روح العمارة في الاقليم الذي تعيش فيه هاته الأمة . وقد تكون هذه الفكرة ذات أساس ثابت في علم النفس وهى كما تنطبق على الأمم تنطبق على الافراد فالفرد إنما يدل على ترتيب ذهنه أو عبقريته أو تربيته واستقامة تفكيره أو عدم

استقامته ونفاد بصيرته أو عدم تفاذها . سلوكه في حياته الخارجية وتنظيمه
لعلاقاته مع الناس . بل ان مظهره الخارجى وتنظيمه لمظهره هذا انما يدل
دلالة واضحة على نفسيته وعقليته واتجاهات ذهنه وما ينطبق على الفرد
ينطبق على المجموع الذى تمثله الامة . فآية الحياة النفسية التى تحياها أمة
من الامم هو المظهر الذى تتخذه أموالها العامة التى تبدى ذوقها والتفاتات
ذهنها

ثم ينتقل أصحاب هذا المذهب إلى استخلاص تاريخ الشعوب من
الاشياء المادية التى تتأثر عن قرب أو عن بعد بحياتها النفسية . فدارس
التاريخ يجب - إذن - استناداً إلى هذه الفكرة التى يروجون لها - أن يعنى كل
العناية بالاشياء المادية التى يقولون بتأثيرها وتأثرها بنفسية كل شعب من
الشعوب

وما زال أنصار هذه النظرية التى بسطنا الحديث عنها غير قليلين
وما زال خصومها ، على ما يبدو من منطقها ، الخلاب غير قليلين كذلك . على
أنا نحب أن نسجل اتجاهها حديثاً ظهر فى فرنسا مؤخراً هو من غير شك
امتداد لهذه النظرية . أما صاحب هذا الاتجاه والمدافع عنه فهو المؤرخ
الفرنسى الكبير جورج لينوتر عضو المجمع العلمى الفرنسى فقد أنشأ فناً فى
كتابة التاريخ أسماه « التاريخ الصغير » وخلاصة الفكرة التى انبرى لينوتر
للدفاع عنها ، هى النظرية التى أسلفنا . ولذلك فأنت حين تقرأ له تجده يتحدث
عن « اليانصيب » وعن « قصر شاتيللى » وعن أمثال هذه الموضوعات التى
يظن الانسان المرة الاولى أنها ليست جديرة بعناية الباحث . ولكنه
لا يلبث أن يسلم مع لينوتر فى النهاية - حتى لو كان من أشد المتزمطين الذين

يعارضون نظريته - بما فيها من بهر وجمال ليسا بالقليلين وأن يقول مع
بأن تاريخ هذه الاشياء قد يكون ضوءا صالحا لدراسة التاريخ .

مذهب النظرية الشخصية

وأما أصحاب المذهب الثانى الذى ينم عن الاتجاه الآخر فهم أصحاب
النظرية الشخصية. اذا جاز لنا أن نضع هذه التسمية فى مقابلة تسمية المذهب
الاول بالمذهب المادى وهؤلاء يسلون بأن درس الاحداث السياسية
وحدها ليس كافيا فى كتابة التاريخ ويرون أن الظواهر التى تبدو فى أفق
المجتمع سواء منها ذات اللون السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى البحث
ليست وحدها مما يرضى المؤرخ الحريص على أمانة قلبه . وأولئك أصحاب
من أنصار المذهب الشخصى لا ينظرون الى كتابة التاريخ النظرة التى ينظر
بها الجماعة الاولى من أنصار المذهب المادى ولكنهم يقولون أول الامر
بأن كل فرد يتأثر بروح العصر الذى يعيش فيه قبل أن يتأثر بأى شىء آخر
وفى هذا تسليم بالمذهب الاول الذى لا يخرج فى أساسه عن مثل ذلك. على أنهم
يعودون فيقولون إن الشخصية الفردية إذا كانت قد استكملت نموها ونضجت
وإذا هى كانت تحمل فى تضاعيفها، عناصر القوة ونوازع العبقرية تؤثر كل
التأثير على روح العصر. وهذه الفكرة التى يتحدثون عنها ليست مستحدثة فى
الحقيقة بل هى فكرة تقليدية ثار حولها نزاع طويل فى أهم فترات كثيرة وما
زال مثل هذا النزاع يثور كلما جد ما يدعو الى إثارتها . فمذنبين وجمهرة
الاجتماعيين تهج فى تأثير الفرد فى بيئته وهل هو أقوى من تأثير البيئة فى

الأفراد الذين يعيشون فيها أم أنه أضعف منه تلك هي المسألة التي ما انفكت مشغلة المفكرين منذ القديم . ومن العسير حقا أن يكون الإنسان لنفسه فكرة دقيقة عن تبادل التأثير بين الفرد والبيئة بالرغم من كثرة ما كتب في هذا الموضوع . هذا الى أن النتائج التي قد تترتب على إصدار حكم معين في هذا الصدد ، كثيرة جدا تهتم كل المشغولين بأمور الاجتماع إذ لو ثبت أن للفرد تأثيراً كبيراً في بيئته مثلاً لثارت مسألة أخرى لا تقل أهمية عن المسألة الاولى : تلك هي : هل يجب أن ينحدر الفرد ، والمصلح الاجتماعى بصفة خاصة والقادة الذين يتزعمون الامم بصفة عامة ، هل يجب أن ينحدر الفرد إلى مستوى جماعته ثم يأخذ بيدها متدرجا حتى يصل بها إلى ما يريد لها من المراتب ؛ أم يجب ان يبقى مشرفا عليها من عل ثم يستنهضها بعد ذلك للحاق به ؟ ومهما يكن من أمر هذا الخلاف سواء في مصدر الفكرة وأساسها أم في النتائج التي تترتب عليها ؛ فلقد انتهى أصحاب هذه النظرية إلى إصدار حكم لا يحافيه المنطق كما لم يحاف المنطق حكم أصحاب النظرية المادية . فقد قالوا إن الفرد في أثره وتأثيره في البيئة بين اثنين ؛ إما أن يكون هملا لا تحمل نفسه من عناء القوة والصلابة ما يمكن أن يستند عليه في تأثيره على بيئته ، وهو من أجل هذا الضعف سريع التأثير بأحكام البيئة ، التي يعيش فيها . والكثرة الغالبة من الناس ، من هذا الطراز ماعدا أقلية ضئيلة منهم ، وأما أن تكون نفسه من النفوس العبقريّة الجبارة التي تنطوى على جرثومة الكفاح والمناضلة تنذر بها حتى تزرع في البيئة التي تعيش فيها ما تريد وترى من الآراء والفكر وهذا كله تفكير لا غبار عليه ولكنه لا يصمد أمام التحليل العميق

ذلك أن هذه النفوس العبقريّة التي تؤثر في الاوساط التي توجد فيها افتقودها ويقصدون بها العظام، لا بد أن تقع، قبل أن تحاول الاصلاح كائنا ما كانت صورته على مواطن العطب والتلف في حياة الناس الذين ترغب في اصلاحهم ولا يتم هذا التعرف على المواضع التي تحتاج الى الاصلاح، الا اذا أمكن لهذه العبقريات أن تتأثر به الناس عادة أي إلا إذا أحست احساسهم وعالجت شعورهم ثم انتهت من كل ذلك الى وجوب الاصلاح والمقصود من كل ذلك أن هذه النفوس السكبيرة يجب أن تتأثر بالبيئة قبل أن تؤثر فيها . ودليلهم على ذلك أن معظم العباقرّة الذين قادوا الفكرة وتزعّموا العالم انما خرجوا من صميم البيئات التي عاشوا فيها . غير أن هذا الحديث ، مهما تعقدت مناحيه واضطربت مقاييسه ، يسلمنا الى النتيجة التي وضعناها في مستهل كلامنا حين الاتجاه الثاني الجديد في دراسة التاريخ وهي أن الفرد ، في تبادله التأثير مع بيئته ، بين أن يكون متأثراً بها أو مؤثراً فيها .

يبد أن أنصار هذه الفكرة لا يهتمهم مقدار تأثير البيئة في الفرد قدر ما يهتمهم مقدار تأثير الفرد على بيئته . فهم إذن لا يعنون الا بدراسة الافراد الذين كان لهم تأثير من أي نوع على شعب من الشعوب .

هذه المقدمات كلها تجعلنا نسلم معهم بالنتيجة التي يسعون للوصول اليها وهي أن التاريخ ليس فقط سرد الاحداث السياسية بل هو ، الى كل هذا ، تاريخ نلافراد قبل أن يكون تاريخا للحوادث . فقد كان المعيار القديم الذي سار عليه المؤرخون هو حسابان الحوادث كوححدات يقاس بها عمر الانسانية ولكن أنصار المذهب الجديد لا يرضون عن هذا المنطق وذلك فهم يقولون

إنما ينبغي أن يكون الفرد هو الوحدة التي يمكن أن يتألف منها التاريخ ، وإن كانوا بعد ذلك لا ينكرون أهمية الحادثة وتأثيرها في تغيير مجرى التاريخ .

فالمذهب المادى ينظر إلى الأشياء جميعا بلا تمييز ويجعل لها قيمة مؤثرة في تاريخ الانسانية ، بينما ينظر أصحاب المذهب الثانى الى طائفة من الأفراد كان لهم أكبر التأثير على توجيه تاريخ الشعوب وتاريخ الانسانية جميعا . ولقد اتسع نطاق المذهبين في هذه الأيام اتساعا ليس بالقليل ، وغدا لكل منهما أنصار ومشايعون يختصمون في تفضيل مذهب على مذهب وترجيح فكرة على فكرة فظهر من أئمة هذا المذهب أميل ليدفيج وكتبه عن بسمارك و نابليون وموسولينى معروفة كما أن اندريه موروا وتواليفه التي تتم على مذهبه كثيرة .

بيد أن عرض كل من المذهبين اللذين قاما في كتابه التاريخ ، بعد دراسة اتجاه كل منهما يقفنا أمام حقيقتين لاسبيل للشك فيهما . أما الاولى فهي أن الغرض من كتابة التاريخ بعد استحداث هذين المذهبين فيه قد تغير تغيراً ، قلما يعد كما كان من قبل ، أو كما هو مفروض نظرياً ، البحث عن الحقيقة أينما كانت بلا تقدير لاي اعتبارات أخرى . بل أصبح الغرض من كتابة التاريخ - على ما يبدو لنا - هو بث الروح الوطنية في الشعوب . فقد كان من أول الوصايا التي يجب

أن يلتفت المؤرخ إليها قبل ظهور هذه الآراء
للحقيقة وأن يحاول التخلص من نعرته القومية حين يكون مقام التاريخ
أما الآن فقد تغير هذا كما قلنا وأصبح من أهم الواجبات الملقاة على
عاتق المؤرخ اذكاء الروح القومية حتى لو تصادم هذا الغرض مع الحقيقة
التي يجب أن تكون مناط بحث المؤرخ . فالتاريخ يكتب الآن ليضرم في
النفوس جذوة الوطنية ، فهو يحدث الناس عن مواطن فنارهم وأصول مجد
بلادهم حتى لتحسب المؤرخ العصري قد انقلب إلى رجل سياسي ؛ وحتى
لتحسب أن كتابته التاريخية ماهي إلا ملاحم وضعت لالهاب النفوس
وتمجيد الأوطان ، أما الحقيقة المجردة فقد أصبحت لا تغني المؤرخين بقدر
ما يعينهم هذا العرض الذي يلهمه من يتتبع التطورات التي حازتها كتابة
التاريخ ، أو تاريخ التاريخ إذا جاز لنا أن نضع تسمية كهذه تلك هي الحقيقة
الاولى التي تبده الدارس فلا يجد مناصا من إثباتها ؛ وأما الحقيقة الثانية فهي
أن المؤرخين أصبحوا يحنحون الى تكلمة فصول التاريخ المفقودة ؛ أو أوراقي
الضائعة عند حد التعبير الفرنسي بفصول أخرى يكتبونها بوحى خيالهم
ولا يستندون في كتابتها إلا للخيال وحسده وان كانوا يحاولون دوما أن
يجانسوا بين ما يبتدعون وبين الحقائق التاريخية السابقة عليه والتالية له وأن
يجعلوا الانسجام ممكنا بين ما يمليه عليهم خيالهم متأثرين بالغرض الذي
يسطناه وبين مواقع التاريخ الحقيقية . إن ليدفيج ، حين يتحدث عن نابليون ؛
يعترف أن كتابته قد لا ترضي الجميع ، بل قد لا يرضي عنها جمهور كبير من
المؤرخين من أولئك الذين يسعون للوصول الى الحقيقة المجردة وحدها .
ذلك أنه من العسير أن يتلام الفن الذي يدافع عنه ليدفيج مع الحقيقة

الجامدة مالم يدخل عليه من الخيال ما يحقق جماله ويغري به الناس ان يستزيدوا من قراءته

نقول إننا حين نقرأ بحثاً تاريخياً يجب معرفة المذاهب التاريخية لكاتب من أصحاب أحد المذهبين الجديدين على أنه قد يمكن الاعتذار عن الحقيقة الاولى بأن الشعوب كلها في حياتنا العامة انما تسعى دائماً الى تأكيد رابطة القومية في نفوس الافراد فلا يملك المؤرخ أمام مثل هذا الاتجاه الا أن يسايره وأن يتابع الميل العام السائد في معظم دول العالم الآن . وكذلك يمكن الاعتذار عن الحقيقة الثانية بأن المؤرخ الذي يريد أن يخدم الغرض الجديد من التاريخ وأن يحمل الناس على الانتصار للقوميات انما ينبغى له أن يبحث عن ألوان الكتابة المحببة الى النفوس وليس أوقع في النفس ولا أقدر على إغرائها بالمطالعة وعلى اجتناب الجماهير الى القراءة من الخيال الذي يجعل من فصول التاريخ الجامدة حياة يحسها الناس فيحرصون على إكبارها والفخار بها .

راجع : مقال ا . ع . ، ونظرات في تاريخ التاريخ

رسالة لجامعة اوكسفورد ، مقالات جورج لينوتر في الطان . تعليقات محمد الفيحاني الابن على مؤلفات لينوتر . نابليون وبسارك لليدفيج . مقالات بقلم ويلز